الرموز الإنسانية في شعر خالد الكركي

أ.د. عيسى قويدر العبادي(*)

الملخص

يشكل التاريخ والتراث مادة غنية لموضوعات الأدب، وتزداد أهمية العودة إلى هذا التاريخ المجيد كلما كان الحاضر سيئاً وضعيفاً ومهزوماً، ومن هذا المنطلق انبرى الشاعر خالد الكركي غائصاً في عمق التاريخ العربي الإسلامي وجزء مضيء من حاضر هذا التاريخ ليقترض منه شخصيات كان لها بصمات حاضرة وواضحة في صنع تاريخ الأمة المجيد، وقد حاول أن يجعل من هذه الرموز منارات انطلاق وشموع يقظة وصحوة لأمته العربية والإسلامية في سبيل الحرية والمجد والعزة.

(*) قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحسين بن طلال.

Human symbols In the poetry Of Khaled Al-Karaki

Abstract

History and heritage constitute rich subjects in literature; the importance of returning to this glorious history becomes more and more urgent when the present era is bad, weak, and defeated. From this standpoint, the poet Khaled Al-Karaki went deeply into certain aspects of Arab Islamic history, specifically into the bright side of that history, to borrow figures who had present and clear imprints in making the glorious history of our nation. The poet tried to symbolize the figures as beacons, candles, and signs of spiritual awakening of the Arab and Islamic nation for the sake of freedom, glory, and pride.

تمهيد

يبدو أن الشاعر العربي بدأ يدرك فائدة التراث العربي الأصيل وأثره في إثراء مادته الشعرية الجديدة، إذ "يعد التراث في كل العصور، ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، إذ يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية"(١).

وإذا كان الأديب في مفهوم الثقافة العربية المتخلّفة يهرب من الثالوث الخطر/ السلطان والدين والمجتمع، فإنه يهرب من سطوة هؤلاء بالاختباء خلف أقنعة يمثلها الرمز مرة، وتمثلها الأسطورة والخرافة، مرة أخرى، ويمثلها الإيهام المنطقي من جهة، ومن جهة أخرى يدس رأسه في رمال التراث المجيد، محاولاً نبش التاريخ والاستجارة به، ومناداة تلك المعالم المتمثلة بالأنبياء والأبطال والأماكن التي خلد اسمها وهي تدافع عن شرف هذه الأمة، بعد أن وصل إلى حالة من الإحباط واليأس والبكاء والحزن على واقع الأمة المعاصر البئيس، وهكذا وجد الأديب/ الشاعر متنفساً في مناجاة هذا التراث ومناداته عله يسهم في زرع بعض بذور الأمل في تخطي هذا الواقع المؤلم.

وقد مثل الإسلام ورموزه المتمثلة بالرسول والقرآن، والصحابة والأبطال والشهداء مادة خصبة يعود إليها الشاعر من حين لآخر، لأنه "في استحضار الشاعر بعض الآيات القرآنية، أو الإشارة إليها وتوظيفها في

---

(١) علي عشري زايد: **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٧٥.

سياقات القصيدة تعميق وإثراء لرؤية فكرة فنية يراها بشكل ينسجم مع النص، فقد كان النص القرآني ولا يزال باعثاً على حركة فكرية ولغوية وشعرية ناشطة تمثل ركناً أساسياً في الثقافة العربية الإسلامية(١).

ولم ينس الشاعر العربي المعاصر ذلك النفر من الشعراء العرب القدامى الذين حمل بعضهم رسالة العدل والحق والفضيلة، ابتداءً بالصعاليك، ومروراً بشعراء الدعوة الإسلامية، ووقوفاً مع النماذج العليا من شعراء الفترة العربية الذهبية كالمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهما ممن تبنوا قضايا الأمة العربية/ الإسلامية، فكانوا منهلاً آخر عاد إليه الشاعر العربي المعاصر محاكياً وباكياً وضاحكاً، لأن هؤلاء كانوا قدوة في طرح قضايا الأمة وهمومها وآمالها وآلامها، ولما كان هؤلاء القدامى يستندون إلى منطق إسلامي وعروبي قومي، فقد اقترب الشعر الأردني المعاصر منها اقتراب الحذو بالحذو لتشابه المنابت والأصول والأصوات والرسائل، فكان لهذه المضامين الإسلامية "حظ وافر في الشعر الأردني، إذ جاء القرآن كأبرز مظاهر هذا التأثر حيث أخذ الشعراء يستلهمون منه قصص الأنبياء والصالحين، ويستفيدون من معانيه ومضامينه"(٢).

لما كان خالد الكركي أحد الشعراء العرب المعاصرين المسكونين بهاجس الموجع والألم لواقع الأمة العربية الراهن، فقد وصل به الحد إلى

---

(١) نبيل علي حسنين: **التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض**، دار كنوز للمعرفة العلمية – عمان، ٢٠١٠م، ص٢١٦.

(٢) أروى محمد ربيع: **الحس القومي في شعر حيدر محمد**، وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠٠٥م، ص٩٣.

مرحلة من الحزن البكائي الموجع، لكنه –ببصيرة الثوري القـومي– يطلـق شهقة الأمل المضمخة باستيحاء البطل الذي لا يود جرح قومـه وهجـاءهم ووسمهم بالخذلان، وقد كان يحاول جاهداً أن يدق النـاقوس مسـتخدماً مـن القرآن الكريم مادة تقارب ثقافة الأمة وعقيدتها، وعلى الرغم من ثقافة خالـد الكركي الواسعة، ومعرفته بالعهد القديم والعهد الجديد وبقية المزامير والكتب الدينية الوضعية، إلا أنه اختار أن يكون القرآن الكريم مصدره الفني المثالي تأثراً ومحاكاة وفهماً أصيلاً للنص المقدس، مستفيداً، كـذلك مـن النمـاذج الإسلامية الأخرى، ذلك أن استحضار الأمثلة القرآنية الدينية والتـأثر بهـا يهدف إلى "تعميق الموقف الشعري وفكرته، فنرى التوظيف ينسجم تماماً مع سياق القصيدة وفضائها وأسلوبها وموضوعها، أما الدلالة فتكون –في غالب الأحوال– قائمة على تأدية وظيفة تحريك الساكن في زوايا الخيال والفكـر، وتسليط الضوء على ما جاء به النص القرآني ومقارنته بما آلت إليه الأمـور من مناقضة هذا النص"(١).

وإذا كانت معركة مؤتة من أكثر المعارك الإسلامية أهمية، فإن مردّ هذا ربما يكون عائداً إلى أنها أول معركة ضد العنصر غير العربي في الجزيرة العربية وشمالها، وربما يعود اهتمام خالد الكركي بهذا المعلـم الجغرافـي – مؤتة إلى كونه موطنه الجغرافي الأول وحبه لهذه النشأة في حضـن مؤتـة التاريخية، إذ الملاحظ أن مؤتة ومؤاب وإقليم جنـوب الأردن عمومـاً لهـا حضور طاغٍ في شعر الكركي.

---

(١) خالد جمال لفتة: **التناص القرآني في شعر أحمد مطر**، مجلـة دراسـات البصـرة، عدد١٤، ص٤١.

ولما كانت مؤتة بهذه الأهمية، فإن الكركي يفطن إلى التعامل معها من خلال إشارات قرآنية وإسلامية يتردد من خلالها أبطال مؤتة الثلاثة، ويبدأ نشيده من ثورة الكرك على الأتراك استئناساً بحركية مؤتة الأولى أمام الفرنج(١):

ها صوت إبراهيم من أقصى المدينة.

يقرأ السطر الذي خطته كفاه على غيم الكرك

ويرى المدى حرباً.

فيجمع جيشه من روح مؤتة

عنفوان الريح

.....

فإني مذ جئت هذي المدينة

أسعى

إلى حفنة من نبيذ الحنين

سأحملها حين أتبع نار الرعاة

وأهتف باسمك.... هذا جنوبي

---

(١) خالد الكركي: **ديوان رجع الصهيل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٤.

وتلك التي رممتني، ستشرق في

الأرض شمساً مبجلة

ولو بعد حين

إن صوت التراث والمعاصرة بين مؤتة العجم السابقة ومؤتة العجم اللاحقة (ثورة الكرك على الأتراك) ينسرب من خلال التوشيح القرآني الجميل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)، فكان سعي هذا الرجل أول ناقوس يدق في انتصار موسى عليه السلام وبني إسرائيل معه على فرعون مصر، وكذا كان إبراهيم ابن شيخ الكرك أول النداء لطرد الأتراك من مؤتة –الكرك– الأردن، الشام حديثاً، وبالتالي فإن زمان مؤتة –الكرك– الأردن الحاضر سينتصر بتأثير زمان مؤتة الماضي، وهذا ما يقصد إليه الشاعر، بل إنه يثبت أن هذا النصر وهذا الفرح الشعبي، وهذا الحزن الشعبي النبيل الذي ثبت نفسه في تاريخ الأمة الحديث إنما هو نقطة صحوة، وتلك ميزة النصوص الشعرية الجريئة التي تثير الاشتباك والسؤال بين طرفي المعادلة: المبدع والمتلقي، لأن "في محمولات النص ما يشير ضمن الظروف الحوارية المعينة للنص وأطراف الحوار إلى مقاصد مستهدفة أو مرجوة أو متحققة، ذلك أن المتلقي قد لا يتلقى ما يستهدفه الشاعر، كما أن الشاعر قد يضمن نصه ما لم يتحكم به أو يطلبه في تضاعيف العملية الشعرية في جانبها اللاواعي"[1].

---

(١) شربل داغر: **التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره**، مجلة فصول، م١٦، عدد (١)، ١٩٩٧م، ص١٢٧.

وإذا كان النقد قد قال بنظريتي الفن للفن والفن للمجتمع، فإن الكركي قد استطاع أن يمزج بينهما بأسلوب لذيذ على الصعيد الفني، ولاذع على المستوى المضموني، وقد أكد أن "من مهمات الشاعر المحافظة على روح أمته بالمحافظة على تراثها، إذ لا يقتصر الأمر على التنظير فحسب، بل يتجاوزه إلى المزج بين الأصالة والمعاصرة وتطعيم التراث بروح جديدة تواكب هذه المتغيرات(١).

إن الشاعر الكركي يستغرق في الفضاء القرآني، ويقترض منه المواقف والأحداث، ويشكل المنطلقات والرؤى، ويرسم بوصلة الغد العربي الذي يجب أن يكون واعداً وجميلاً وعزيزاً(٢):

فيا أيها الناس

نادى مؤذنكم بالحجيج

فهبوا

فقد طابت الريح

صار الضحى ذهباً

والهدير عجاجاً

وزاد وجيب القلوب

---

(١) الحس القومي في شعر حيدر محمود: ص٨٧ – ٨٨.

(٢) رجع الصهيل: ص٦٤.

ألا فانهضوا للحياة

فإن الصباح قريب

إن الصباح قريب

وهكذا يؤكد النص صنع البشارة لهذه الأمة في رسم مستقبل عزيز لم يعد مستحيلاً أو بعيداً، فكما صدق (صبح) القرآن، فإن صباح هذه الأمة سيصدق أيضاً، لأن استحضار النص القرآني والتناص معه في الخطاب الشعري يعني إعطاء مصداقية وتميز لدلالات النصوص الشعرية، انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني وقداسته وإعجازه"(١).

ولا شك أن الشاعر الحقيقي ربما يتجاوز العادية البشرية برؤاه وأحلامه وآماله وتوقعاته، فالكركي –هنا– يتجاوز مرحلة الشاعر إلى مرحلة العارف والمتنبئ والقارئ والفيلسوف، حين يغدو عارفاً وفقيهاً بأحوال الأمة، وحين تنعكس رؤاه فإذا هي الواقع والمستقبل والنبوءات، ولعله، كما وصفه الشاعر عبدالله البردوني الذي صنف الشعراء بقوله: "هناك شعراء من كل الوجوه، وهناك شعراء من بعض الوجوه، وهناك شعراء من أقل الوجوه، وهناك شعراء بلا وجوه، وبلا مقياس شعري، والشاعر هو ذلك الفرد الذي يصدر عن المجموع، وهو ذلك الواحد من الناس الذي يفوق كل الناس"(٢).

---

(١) محمد عبد المطلب: **قراءات أسلوبية في الشعر الحديث** الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، ص١٢٦.

(٢) محمد القضاة: **شعر عبدالله البردوني**، المؤسسة العربية للدراسات النشر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤٨.

ولئن كان القرآن الكريم سيد الخطاب وأصل التأثر في شعر الكركي، فإنه يميل إليه –من جديد– كذئب جريح يئن، ينادي الهمة في نفوس الأمة، يستنهض الأمل الدفين المخبوء في وجدان كل عربي ينشد الحرية والكرامة والعزة، وتهمي هذه الأحاسيس الجميلة النبيلة في نفس الشاعر مترددة في روحه البطلة على شكل أمنيات تتماهى مع أمنيات سيدنا يعقوب عليه السلام – المفجوع بولديه، أو ربما بأولاده، إلى أن أتى البشير وألقى القميص على وجهه فارتد بصيراً. إن دواء يعقوب كان في القميص العجيب الذي ارتبط بإرادة إلهية حين غدا شفاءً، فهل يعود من جديد دواء وشفاءً لعمانا المعاصر؟ إن بطل الكركي الآن يتمنى عودة هذا القميص العجيب، يبكي، يتأوه، يتأمل لحظة الصحوة، التي لمّا تأت بعد، لكنها ستأتي(١):

أواه لو يأتي المنادي

صادقاً فيما ينادي

موجع قلبي، وصوت مؤاب

في روحي يجول

أواه لو يأتي المنادي

آه لو يلقي القميص

وتستفيق الروح

---

(١) رجع الصهيل: ص٢٣ –٢٤.

فالأعمى بصير

والنجوم تطل في ليل السرى

والخيل تعدو

والمدى رجع الصهيل

إن إصرار الشاعر الكركي على الغوص في القرآن الكريم حد التماهي مع مضامينه وفنياته يؤكد أنه يعرف ما يريد، "فقد اعتمد الكركي على النص القرآني، واستلهم كثيراً من القصص القرآني، وضمنه شعره، ليعمق من خلاله رؤية معاصرة يراها ضرورية وفاعلة في الموضوع الذي يطرحه، فاستلهام التراث والموروث وصهره بالنص الجديد يسهم بشكل كبير في تجسيد رؤية جديدة تسعى إلى فهم اللحظة الحاضرة وتفسرها"[١] فيرسم لوحة أخيرة يحاول من خلالها رسم بوصلة النهوض بوشاح مفردات قرآنية جميلة[٢]:

ويسَّاقط الوجد حين نهز جذوع التذكر

في شجر الصبر والأرجوان

ويطلع من شرفة الروح غيم ووجد

---

(١) إبراهيم جوخان: التناص في ديوان **مقام الياسمين** (خالد الكركي)، مجلة التربية والعلم، م١٨، عدد، سنة٢٠١١م.

(٢) خالد الكركي: ديوان **مقام الياسمين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٧٤ – ٧٥.

يغطي فضاء المكان

أكاد أراك

فأهوي وأنهض

خلفي سبع عجاف

وهكذا يغدو الكركي "ذلك الشاعر المبدع الذي هو الأكثر قدرة على تشرب الخطابات السابقة وتحولها إلى مستوى آخر يحقق ذاتية نصه"(١).

ولما كانت مؤتة هي الحاضنة المقدسة لذكريات الأمة المجيدة، فقد شمخ رمز كبير من رموزها شكل اتكاءً رؤيوياً مركزاً للشاعر في استدعاء شخصيات إسلامية كان لها بصمة واضحة في هذا الصعيد، ولعل جعفر بن أبي طالب من هذه الشخصيات التي شكلت بوصلة الفتح الإسلامي وبدايات فجر الأمة المجيد، فتداخلت الطوابع الدينيّة والتاريخية لهذه الشخصية الرمز لتشكل منعطفاً إيجابياً يرسم انتصارات الأمة ومستقبلها، وقد نسج الشاعر خيطاً سرياً وسحرياً بين هذه الشخصية ومعلِّمها الأول – الرسول محمد عليه السلام، فكانت استكمالاً للدرب الذي رسم معالمه الأولى الرسول عليه السلام، ولم يتعمق الكركي في التوقف عند شخصية الرسول الكريم، بل إنه تعداه إلى ظلاله ورموزه، وربما يعود هذا إلى تخوفه من الوقوع في شبح التقديس وهالة الاشتباك مع الذات الإلهية، فاكتفى بإضاءة خفية جميلة تؤكد حضوره

---

(١) يسرى خلف حسين: **التناص في شعر حميد سعيد**، دار دجلة للنشر، عمان، ٢٠١١م، ص١٤٩.

وغيابه في آن واحد، وهذا من جماليات الفن الأسلوبي الذي يتقنه الكركي فلا يقع في ورطة المباشرة والتصريح[١]:

من جرح جعفر

يا عمُّ، هذا حضورك بعد غياب طويل

جناحان من اللازورد وطيب

فاصعد إلى الأفق عماه

ما بين تسعين جرحاً

وصوت الرسول الحبيب ترى يا بُني

إن استدعاء شخصية الرسول الكريم بهذه الخفة والمهارة تضفي على النص حالة من النورانية والقداسة المرتبطة بالروح الدينية، فالرسول "عظيم بالغ في العظمة، وفاقاً لكل مقياس صحيح يقاس به العظيم عند بني الإنسان في عصور الحضارة"[٢] وبهذا المعنى يأتي استدعاء شخصية الرسول عليه السلام "مقتضًى روحانياً بحتاً فرضه السياق الشعري للنص"[٣].

---

(١) رجع الصهيل: ص٣٢.

(٢) عباس محمود العقاد: **عبقرية محمد عليه السلام**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ط٣، ص١٤٥.

(٣) أسماء النصرات: **التناص في شعر خالد الكركي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحسين بن طلال، ٢٠١٧م، ص٤٤.

يرتبط هاجس الحاضر بهاجس الماضي لدى الكركي، فحين يهب إبراهيم ابن شيخ الكرك في وجه الأتراك طلباً للحرية والبطولة، وبالتالي الشهادة"[١].

قهوة الضيف

التي قد أثقلوها عنبراً

وعن الغناء يجيء مذبوحاً بسيف العشق

عن أم المؤابيات/ وهي تضج من

وجع المدينة والغياب

وتصيح: يا إبراهيم

الكرك الحبيبة لاتباع

فأرضها صلى عليها ذو الجناحين الشهيد

وكبرَّ

يستمر تعلق الكركي بنداءات الصحوة والتذكير والعتاب واللوم والأمل والألم، فتتشابك أمام عينيه رؤى متفائلة، ورؤى متشائمة، وأرخى متشائلة، وهو لا يدري من يخاطب، لكنه يصر –دوماً– على التذكير والتحفيز واستحضار شخصيات إسلامية كان لها بصمات في تاريخ الأمة المجيد سالفاً، إنه يحاول نبش القبر، ونفخ الرماد عن هذه الرموز التي ذهبت على المستوى

(١) رجع الصهيل: ص٣٢.

الزمني، لكنه يحاول سحبها إلى واقع الأمة التعيس ليشكل بذلك ناقوساً يظل يدق فوق الرؤوس حتى تنهض هذه الرؤوس، ولما كنا نعرف –ضمن السياق التاريخي– ما كان من أبي محجن الثقفي، فإن الشاعر –وارتكازاً من هذه المعرفة– يجر أبا محجن من قيده ويحرره ويضرب به رؤوسنا النائمة علها تفيق"(١):

أناديك

مات الفتى العربي

وما عاد لثقفي

ضريح

تمد الدوالي إليه الجذور

وتسكب فيه جنون الصبا

وهوى العابثين

إن الكركي –من هذا المنظور– يحمل انطباعه الشخصي عن رمز هذه الشخصية ووعيه بتجاربها عبر منعرجات تاريخية معينة ليعبر بها –عبر أنساق القصيدة– عن تجربة واقعية راهنة، فأبو محجن الثقفي، كما يراه الشاعر، من الشخصيات القلقة ذات التجارب، التي تبدو في الغالب رومنسية، فخروجها عن الواقع أو السلطة السياسية لم يرتبط بجماعة سياسية عقائدية،

(١) رجع الصهيل: ص٩٨.

وقلقها في الغالب قلق فنان غاضب، لا قلق ثائر جذري، فنموذج أبي محجن إذن هو "حالة كان الشاعر يتمنى على الإنسان العربي بلوغها، ولو على المستوى الرومنسي، وليس الثوري الحقيقي، فانبرى ليعلن موت الفتى العربي الثائر على واقعة، الرافض للظلم وأشكاله، والمتمرد على التهميش والإقصاء"(١).

وإذا كان جعفر الطيار قد سبق خالد بن الوليد في تسجيل لون من الأمجاد الإسلامية في صدر الدولة، فإن شخصية أخرى وصلت إلى مرحلة الأسطرة في ثقافة الأمة، حيث أكملت دور جعفر، ووسعت حدود سطوتها ومجدها حتى غدت المثال الأول في التاريخ الإسلامي. وحين نتكلم عن مواصفات مثل هذه الشخصية فليس غير خالد بن الوليد من يعبئ الفراغ"(٢):

ألا اقرأ لهم

كيف تسع صحاف تقطعن في زند خالد

والموت ينشر غربانه في المكان

لقد صمدوا يا بني

وصاروا سيوفاً لرب العباد ورب الزمان

ألا فاشهدوا

---

(١) التناص في شعر خالد الكركي: ص٨٦.

(٢) رجع الصهيل: ص٣٧.

إن النص يشير بصراحة إلى مواصفة مثالية حظيت بها هذه الشخصية حين تسلمت شرف درع (سيف الله المسلول)، وتؤكد الروايات التاريخية، لاحقاً، أحقية هذه المواصفة وواقعيتها حين كان خالد في غزوة مؤتة "فاندقت في يده تسعة سيوف، ولم تصبر معه إلا صحيفة يمانية"(١)، ولا يقصد الشاعر هنا استعراضاً مدحياً لشخصية ابن الوليد بقدر ما يريد لنا الاعتقاد بأنه أعاد إنتاج التاريخ بلغة شعرية عالية، منحت النص طاقة إيجابية متجددة، أضفى عليها وعياً خاصاً بالتاريخ الماضي والواقع الحالي للأمة، وفتح النص للتاريخ بدوره نوافذ جديدة كانت مغلقة، وغير معهودة في ذاكرة المتلقي.

ولا يني الكركي عن ربط البطولات الإسلامية الميدانية بالبطولات غير الميدانية، فقد ظهر رجالات في تاريخ الإسلام المجيد ربما لم يحملوا سيفاً، لكنهم حاربوا بطرقهم الخاصة من أجل مجد هذه الأمة، ويذكر الشاعر من هؤلاء ابن أنيس الرحالة والراوي والشاهد، فكانت جهود ابن أنيس في نقل أخبار انتصارات الأمة، وخاصة في بداياتها، لا تقل عن جهود أبطال الميدان فهو، مرة أخرى، يرسم صورة مؤتة المجد، وجعفر الشهيد والشاهد، يقول الكركي مخاطباً أبناءه الثلاثة الذين سماهم، تيمناً، بأسماء شهداء مؤتة، مستنهضاً هممهم، وراسماً لهم بوصلة الغد(٢):

---

(١) عباس محمود العقاد: **عبقرية خالد**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ط٣، ص٥٥.

(٢) خالد الكركي: **ديوان عبدالله**، الآن، ناشرون وموزعون، الأردن، عمان، ٢٠١٦م، ص٤٥.

أيكما... لست أدري
أظن ابن جعفر قد ينهض الآن من سهل
مؤتة
والريح تجري شمالاً
وفي الباب ثأر لجعفر
وابن أنيس
يحدّث عن سير الشهداء
وعن سيف مخزوم
ما سُلَّ إلا على اسم الإله

ويواصل هذا التحفيز والرسم المستقبلي لأبنائه الذين يريدهم أن يصبحوا شرفاء كما كان أجدادهم، جعفر وعبدالله وزيد[١]:

كان الفتى يترامى على قبر جعفر
كان اسمه أنت، فاحمل
أمانته حيث كان يريد
وكن أنت... كن ما تريد
فما أحد سوف يعطيك سيفاً
ولا أحد سوف يصحو من القبر
حتى يراك

(١) خالد الكركي: **ديوان عبــدالله**، الآن، ناشرون وموزعون، الأردن، عمــان، ٢٠١٦م، ص٤٣.

ويقفز بنا الكركي قفزة زمانية كبيرة ليتوقف معنا من جديد مع شخصية إسلامية أخرى ربما وصلت أيضاً إلى مرحلة الأسطرة والخلود في الثقافة العربية والإسلامية، إنه صلاح الدين الأيوبي الذي استطاع أن يدق ناقوس التنبيه فنجح في إخراج الأمة من غفوة طال سباتها مئات السنين، واستطاع رسم مرحلة جديدة ومجيدة في تاريخ الأمة الإسلامية بعد تطهير المنطقة من الفرنجة[1]:

يوم غد وآه من غد
ستصير حلماً أخضرا
الليل مؤذنة مؤرقة
ورهبان يرودون الكتابة
كي تظل مؤاب نجماً صابراً
لا صوت في الوادي
سوى الراوي يحدث عن صلاح الدين
عن حرب الفرنجة

إنه يدرك أننا الآن نائمون، ولذا فهو يقترض هذا الراوي المعاصر من التاريخ المعاصر ليحكي، من جديد، سيرة صلاح الدين وحرب الفرنجة، لعل في هذا تذكيراً جديداً، وهو بهذا التصور يقارب بين الانتصار في عهد صلاح الدين وانتصار (مؤاب) في العصر الحديث، وهو بهذه المقاربة يبعث بالقيمة

(١) رجع الصهيل، ص٣٠.

العظيمة لانتصار (مؤاب)، هذه القيمة التي انتزعها من انتصار صلاح الدين على الفرنجة في الماضي، فتحل بذلك "التجربة الحديثة مكانتها في التاريخ فيما بعد، فالراوي الذي يحدث الناس عن صلاح الدين وحروبه مع الأفرنج سيتحدث عن (مؤاب) ذات يوم، متخذاً من الشخصية المنتقاة سبيلاً لبث هذه الرؤية في فضاء القصيدة"(١).

ولعل لشخصية المرأة حضوراً آخر في شعر الكركي، فهو إذ يفتش الذاكرة التاريخية الإسلامية والعربية يعثر على امرأة من الصنف الذي يريده، وهو الآن يستحضر امرأة لعبت دور البطولة واستكمال المجد بعد صلاح الدين، إنها شجرة الدر، وإذا كانت شجرة الدر تمثل مصر في حينها، فإن مصر كانت زعيمة العالم الإسلامي أيام الفاطميين والأيوبيين والمماليك، يقول"(٢):

أنادي عليك

وتلك مؤاب وراء تخوم الغمام

وما من حبيب سوى

فارس يحرس الريح

عبر الدروب إلى مصر

---

(١) التناص في شعر خالد الكركي: ص٩٠.

(٢) رجع الصهيل: ص٧٣.

موكب من؟

شجرة الدر خارجة من خوابي مؤاب

يا حادي العيس والرمل

إنّا على باب مصر

سلام لمصر

ولا يخفى هنا ذكاء الشاعر في ربط هذا الوضع الناهض في مصر بشقيقه في الأردن –الكرك –مؤاب– مؤتة، إذ تصبح الكرك صمام الأمان لمصر،– وهذا الدور التاريخي الحديث الذي لعبته الكرك وقراها يأتي في إطار إعلاء الشاعر لموقفه المنمي لمحيطه القومي العربي الإسلامي.

وإذا كان ظاهر النص الشعري لدى الكركي يوحي، أحياناً، بالشخصنة، فإني آراه لا يقصد ذلك، صحيح أن الشعراء يحبون الحب والمرأة والجنون، لكن المرأة تجذر، أحياناً، لواعجهم القومية والوطنية والرؤيوية، وإذا كان مسموحاً لخالد الكركي أن يعشق امرأة ما فلا اعتراض على ذلك، لكنه يحوّل هذا العشق –في منظورنا– إلى رمز قومي ووطني لتغدو هذه الحبيبة صورة الوطن الجميل"[1]:

وها أنت: أقرأ في صمت عينيك

أيام كانت مؤاب تُغنّي

وأيام كنا صغاراً

---

(١) مقام الياسمين: ص٢٩.

ندوّن أحلامنا في كتاب التمني

وكل حقول الجنوب يباب

كان الزمان انتظاراً لعلك تأتين

من زهرة في روابي الكرك

ومن أغنيات صبايا الكرك

أليس هذا هو نداء للقومية العربية التي تشكل كريات دم الكركي؟ أظنها كذلك. وحين يعشق الكركي دمشق فإنه بوعيه الثقافي يدرك أن القومية العربية أكثر ما تجلت هناك في دمشق، ولم يكن هذا التجلي كما رسمته العروبة القومية السورية المعاصرة، بل إنه يعود بنا إلى جذورها القديمة حين رفع بنو أمية من الشام هذا الشعار، يقول(١):

أمضي إلى عرب الشمال

وعلى هواي تسير راحلتي التي

ستطل من أعلى الذرى

وتمد رايتها على الصبح المضمخ بالهوى

ودمشق تنهض في رنين الشمس

إذ تصحو أميرتها على وقع القوافي والصهيل

---

(١) مقام الياسمين: ص٩.

ثم توافي الموجة أختها الموجة، وتكرس هذا العشق القومي العروبي مرة أخرى[1]:

حلم من زمن بعيد

وصوت تناهى من الغيب

وحوران حقل من القصب الأزرق الأموي

فمن سيرد على الروح فتنتها

حيث تأتي عالية

مثل نجم على قاسيون تدلى

وناعمة مثل شام تنام على حلم الياسمين

وإذا كان الكركي قد استند إلى التاريخ الإسلامي والعربي من خلال شخصيات إنسانية بارزة على الصعيدين الديني والتاريخي فإنه الآن يلجأ إلى ضرب الحاضر بالحاضر بعد أن كان يتقصد ضرب الماضي بالحاضر، فلم يجد أجمل وأفضل وأكمل وأعدل وأنبل من أبنائه الثلاثة الذين رُزقهم بعد انتظار.

ولقد ترجم الكركي رؤيته وموقفه النبيل من أمته حين استغرق في التوقف عند مؤاب والكرك ومؤتة، هذه الأعلام الجغرافية التي رصدت تاريخاً مجيداً للأمة في الماضي، ولما كانت مؤتة –تحديداً– عشقه الرؤيوي

---

(١) رجع الصهيل: ص٩٧.

لما تحمل من دلالات، فقد استغرق في التوصل إلى أبطالها، وخاصة جعفر، ثم إنه عمد إلى تسمية أبنائه الثلاث بأسماء أبطال مؤتة: جعفر بن أبي طالب (الطيار)، وزيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة، تيمناً بشرف الأبطال الثلاث الشهداء الذين أسهموا في صنع تاريخ الأمة.

ولم يتوقف الكركي عند هذا الحد من الترجمة الصادقة لموقفه النبيل إزاء الأمة، بل إنه وسم ديوانه الأخير باسم أحد هؤلاء الأبناء الكرام، فكان ديوان (عبدالله)، ولا يخفى أن الكركي لم يختر هذا العنوان عبثاً أو صدفة، فقد تجاوز جعفراً وزيداً، وتوقف عند عبدالله فمنحه الديوان، وإذا كان عبدالله الماضي هو الصورة التي يتمناها الكركي لعبدالله الحاضر، فإن هذا ليس هو السبب المباشر، وإن كان كذلك، لكنه –في ظني– كان ينوي أن يكون وصف عبدالله لكل شاب عربي نبيل حاضر وقادم، فالعبودية لا تكون إلا لله، وهو بذا يضمن البعد الديني في رؤيته المرتكزة على مفردات الإسلام وموقف الإسلام من الحرية والجهاد والكرامة التي عادة ما تكون منطلقة من منطلق عقدي إسلامي بتمثل في تمثل الله منطلقاً لرؤية جهادية ثورية قائمة على أساس عقدي إسلامي، وإذا صح هذا الظن، فإن هذا لا ينقص من أهمية الأخوين الآخرين اللذين كان وصفهما كذلك متعلقاً بالرؤية الدينية الإسلامية والبطولة، ولذا فلم يحرم الشاعر هؤلاء الرموز الثلاثة من حصص شبه متساوية معلنة حيناً، ومضمرة أحياناً كثيرة.

يبدأ الكركي في تعذيب فلذات كبده هؤلاء لينذرهم للأمة ونضالها ومجدها وشرفها، حارماً إياهم أن يتمتعوا بطفولة وشباب سيتمتع بهما جيلهم بالتأكيد، فهذا التوجيه الصارم منذ الطفولة، وهذا الرجاء الحار منذ البدء،

وهذا الأمل الممزوج بالألم الذي يئن به صدر الكركي القومي العروبي الإسلامي الثائر تغدو عناوين ومحطات انطلاق لهؤلاء الأطفال/ الشباب/ الرجال المنذورين لمهمة شريفة دونها الحياة.

يستهل الشاعر فرحته المجروحة بهذه الهدية الثمينة التي قد يخسرها بين لحظة وأخرى في حال نفذ الأولاد رغبة والدهم، لكنها تظل بالتالي هدية ثمينة تضيء عالم الوالد المضمخ بجراحات الإحباط واليأس والحزن على واقع هذه الأمة(١):

فيا ولدي

إن طرفي الذي لا يرى كل صبحٍ

ثلاثة أجنحة مدّها الله لي

طرف أعمى

وكيف يكون

وأنتم مصابيح هذي النجوم

هكذا إذن تهل هذه الفرحة ثلاثية الأبعاد دون ميز لأحد عناصرها على الآخر، فهو يخاطبهم كتلة واحدة لأن الرؤية واحدة، وشرف المسؤولية واحد، والأمنية واحدة، وهي تحقيق حلمه بتكوين جيل ثائر حر تكون صورته وبذرته ولونه هؤلاء الأولاد.

---

(١) ديوان (عبدالله): ص٨.

وإذا انطلقنا من مقولة أن للشاعر ما يقول ولنا وما نؤول، فإننا نتوقف مع بدايات هذه التكليفات (العسكرية) الجهادية النبيلة التي يبدأ الشاعر برسمها لهؤلاء النموذج[١]:

فيا أيها القادم العذب

من ذروة في أعالي الكرك

من ينهض الآن إن شبت النار في الصدر

من يقرأ الآن غيماً على الأفق

من ينجز الآن نقشاً على صخرة للزمان الجديد

إنه يكلفه/ يكلفهم بترجمة هذه الأمنيات العذاب التي طالما جاهد هو شخصياً في سبيل تحقيقها، وبالتالي، فهو يتمنى أن يكون كل شاب عربي هو من يهب للاستجابة لهذا النداء.

نداء جريح جديد يئن به صوت الكركي، يجيء مذبوحاً حزيناً سائلاً متوسلاً، مضمخاً بالرجاء أن يهب هؤلاء الأبطال المنذورون للثم جرح أبيهم العاجز الآن عن فعل ما يريده في سبيل هذه الأمة[٢]:

لا ضوء في مشهد الصبح

لا عاصم اليوم في راسيات الجبال

---

(١) ديوان (عبدالله): ص١٣

(٢) عبدالله: ص١٥.

وقد هدَّنا الخوف أن لا تجيء

فهل تحمل الآن شيخك

في لجة الفجر والزعفران

وما ظل من

وجع الباكيات

على الراحلين وأحلامهم

في شواهد تلك القبور

إن فرحة الكركي بولده تكسرها حالة الأمة الممزقة الضائعة، إنه الآن يشبك ابنه بمؤتة بعذاباته لينهض نسراً شامخاً بهذا الرمز، لكنه ما إن ينهي شهقته وجملته حتى يرتطم بهذا الوطن الممزق وهذه الأمة الميتة فيبدأ النشيج[1]:

ويأتيك صوت خفي

من الغيب حين تطل على سهل مؤتة

صوت تفجر من كبد صدعتها

مرارات ذلك

الزمان البهي، فنادت على غائب لا يؤوب

---

(١) ديوان (عبدالله): ص١٧.

ويثرب غارقة في أساها، ويوم الفراق

قريب قريب

وكما تعامل الشاعر مع الماضي وتمناه حاضراً، وكما تمنى الحاضر جميلاً محترماً، فإنه تعامل بواقعية البشري المتفائل/ المتشائم، لكنه يبتعد الآن شوطاً سريالياً يسحبه إلى عالم الغيب، فيذوب في تنبؤاته المجيدة التي يرميها على عاتق أبنائه، ويرسم لهم صورة الغد الغائب حين يرحل من واقعية البشري إلى حلمية البشري، يقول(١):

ذات صباح بعيد

ستدخل في غبش تائه في الندى

والشروق

هناك ترى، يا بني، قباباً وخيلاً

رجالاً أكفهم من غمام

والعمائم خضر

وبين الرؤى سوف يمتد نهر ضباب

كما زرقة الموج

يرتعش السهل حين يرى جعفراً

---

(١) عبدالله: ص١٨.

بجناحين من أرجوان وطيب

يضيء فضاء مؤاب

وبعد هذا التية الجميل في ثنايا هذه اللوحة السريالية التي قد تستغلق على فهم الابن المقصود، وربما على فهم القارئ المرصود، يحل الكركي لغزه لنا جميعاً بقوله(١):

إنها الحرب

أضرحة وبكاء على الراحلين

وذلك الزمان

على طرقات الجنوب

عجاج يرود السماء

ووحي يعلمهم

أنها الأرض للثائرين

إنها إذن صورة الغد الحتمية التي لا بد أن تأتي، وإنها تلك المسؤولية العظيمة التي ستقع على كاهل هؤلاء الأحبة، وبالتالي على كواهل الجميع النائمين.

يبكي الكركي بحرقة، ويبكّي أبناءه ويبكينا معه بهذه اللغة الشعريّة الحارقة المحرقة، بلوعة الفقد التي يعانيها، ويجرنا معه لهذا العناء وهذا الحزن المضمخ برائحة المجد والثورة، إنه الآن يحمّل أبناءه وظيفة البكاء

(١) ديوان (عبدالله): ص١٩.

على جدهم وعمهم اللذين كانا منارات ورموزاً، فهل يستطيع الأبنـــاء حمـــل شرف آبائهم وأعمامهم وأجدادهم، ذلك ما يريد الشاعر منهم ومنّا[١]:

أنادي عليك

ويوقظ جفعر روحي

وزيد يداري حروف الكلام

وأسمعه إذ يحاول يا أبتاه

ووجه أبي/ إذ تراءت على شرفات

البيوت القديمة أغلى رؤاه

ولو كان

آه لو كان

حدثكم عن سليمان جدي

وعن سليمان أيقونة الروح إذ جاءه

غارقاً

في أساه

ثم ينفلت هذا الشاعر الإنسان الرائع ببكائية ومرثية غريبة، كأنـــه هنـــا محدودب الظهر، مكسور الوجدان والقلب، متعب تعب حبيبه المتنبي، فيرتمي

(١) عبدالله: ص٢٢.

على صدر ولده باكياً عاجزاً في رسالة جميلة نبيلة علَّ الابن يفهمها فينهض للثأر لأبيه/ رمز الجيل الحاضر المقموع الذي لا حول له ولا قـــوة، فلربمـــا يتحول ضعف الأب قوة للابن، وهذا ما يريده من هذه الشيفرة الحزينة الباكية المبكية(١):

فلا تأس

إن جئت يوماً إليكم

وقد هدّني زمني وجفاني الصديق

واطلقْ جناحيك للريح

مع أخويك

ولا تنس أن أساميكم

يا بني علاماتكم

في زمان الذئاب

وفي زمن آخر مونق ووريق

وبعد كل هذه البكائيات الجملية، والوجع اللذيذ الذي يستشعره الكركـــي، فإن تباشير الأمل والفرح تأتي بهدوء، فبعد كل هذا الوجع الذي يعاينه الشاعر حتى وصل إلى نقطة ربما كانت سوداء، ينعرج في استراحة تكاد تكون أبدية بعد أن اطمأن أو أشعر نفسه بالاطمئنان بأن أبناءه الأبطال بدأوا يســـتوعبون

---

(١) ديوان (عبدالله): ص٢٥.

خطط الرسالة وخيوط البوصلة التي رسمها لهم والدهم الشقي، وبهذه الفرحة الجديدة يقفز الكركي إلى إعلاء قيمة رمز هؤلاء الشجعان ليصبحوا رموز الجيل القادم الذي يؤمن له ولجيله الثائر الحزين نوعاً من الارتياح والفرح، يقول مخاطباً ابنه(١):

شقائق من دمنا يا بني لا بدّ أن
تزهر الآن بين المزار وبين الدروب
إلى القدس/ تنشر ألوانها
في فضاء الشآم

إن هذه أولى البشارات التي يزفها إلينا الوالد الثائر الحزين، الفرح الآن ببدء تفريخ شجرة الأمل التي زرعها في أبنائه/ جيلهم، وسيطلع الفجر مهما استغرقت الظلمة، ثم يرسم الشاعر لوحة مستقبلية تنبؤية جديدة تمثل حلمه القومي والوطني والإنساني، ويؤكد تحقق هذه النبوءة بحسه الإنساني الشاعري النبيل من جديد(٢):

ما ضلّ صاحبكم يا بُني
يصعد منكم رجال على شرفات المدينة
يتلون من سور الحب والخوف
ثم يقومون صفاً
وتبدأ حمحمة الخيل للموت

---

(١) عبدالله: ص٣١.
(٢) نفسه: ص٣٥.

وهي التي إن مضت نحوه
انشقت الأرض
بل والسماء غدت وردة كالدهان
إنه الحلم، يطلع الآن من عضدين
على مشهد كالفجر يعتنقان
من دم زيد، وكفاه فوق لواء رسول
المحبة ينعقدان
إنهم ينفرون خفافاً
وهم ينفرون ثقالاً
ويأتون من كل فجٍ عميق
وما ردّهم تعب ولا حال بينهم والوصول
إلى مشهد الحرب بُعد المكان
.....
إن هذا الضباب بقايا دخان
وإياك أن تترجل
والثورة البكر تزهو بجمرك والأمة اليوم
خوف وقهر
فكن صاحب العنفوان
وإياك أن تترجل قبل الأوان

إن القارئ الناقد لا يستطيع الفكاك من جمال هذه اللغة الشعرية الراقية، حتى لتطغى الاستشهادات على الدرس والنقد، ذلك أن المغناطيس اللغوي لدى الكركي مغرٍ حدّ الأسر، فلا يستطيع الناقد ترك مفردة شعرية واحدة تهـــرب، وتتملكه الرغبة أن تقف دراسته مكتوفة الأيدي أمام هذا الفن الشعري الرائع.

وختاماً، لا نملك إلا أن نجبر العين على التفتح، والشفاه على الضـــحك، والقلب على الفرح مع السمفونية الأخيرة التي يعزفها هـــذا الشـــاعر الثـــائر الهادئ، إنه الآن يحاول أن يدخل استراحة المحارب بعد كل هذه البكائيـــات والحزن والألم والأمل والمشاعر المضطربة، يحاول أن يمدَّ قدميه لكن ليس كجده أبي حنيفة، بل إنه استشعر وصول الرسالة، فكان لقمان الحكيم الـــذي رسم خيوط المعادلة لأبنائه وجيلهم، ولا نستطيع، في هذا الختام، إلا أن نفرح ونتوقف طويلاً إزاء هذه الموجة الأخيرة الجميلة الرائعة وهي تهمي رويـــداً كموج لبحر عاقل(١):

سيأتي زمان جديد

ويطلع نوَّار هذي البلاد

وحبك في كبدي سيزيد

فإن غبتُ

لا تبتئسْ يا بُني

فجعفر أقرب مني إليك

---

(١) عبدالله: ص٤٧+٤٨.

وجعفر بشرى بفتحٍ

ترى فيه كل الذي ضاع

منا يعود

فسلام عليك

على الأرض إذ يورق الصخر فيها

شقائق من أرجوان يديك

ومن ياسمين المحبين

يأتون مثل البنفسج

حين يمدُّ أساه إليك

يأتون

فاسق العطاش

إذا جاءك الغيث

علَّ الذي ضاع مني يعود إليك

وسلام عليك

سلام عليك

وسلام عليك أيها الكركي في الخالدين، فقد ناضلت واجتهـدت، وحُـق لرسالتك أن تصل أصحابها مضمخة بعهد الوفاء وقسم الثورة.

المصادر والمراجع

١. خالد الكركي: **مقام الياسمين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢. خالد الكركي: **رجع الصهيل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.

٣. خالد الكركي: **عبدالله**، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، عمان، ٢٠١٦م.

٤. إبراهيم جوخان: **التناص في ديوان مقام الياسمين (خالد الكركي)**، مجلة التربية والعلم، م١٨، عدد(٢)، ٢٠١١م.

٥. أروى محمد ربيع: **الحس القومي في شعر حيدر محمود**، وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠٠٥م.

٦. أسماء النصرات: **التناص في شعر خالد الكركي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحسين بن طلال، ٢٠١٧م.

٧. خالد جمال لفتة: **التناص القرآني في شعر أحمد مطر**، مجلة دراسات البصرة، عدد١٤.

٨. شربل داغر: **التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري** وغيره، مجلة فصول المادة ١٦، عدد(١)، ١٩٩٧م.

٩. عباس محمود العقاد: **عبقرية محمد**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ط٣.

١٠. عباس محمود العقاد: **عبقرية خالد**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ط٣.

١١. علي عشري زايد: **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، دار الفكر العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٢. محمد عبدالمطلب: **قراءات أسلوبية في الشعر الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٣. محمد القضاة: **شعر عبدالله البردوني**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٩٧م.

١٤. نبيل علي حسنين: **التناص، دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض**، دار كنوز للمعرفة العملية، عمان، ٢٠١٠م.

١٥. يسرى خلف حسين: **التناص في شعر حميد سعيد**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

Sources and References

1- Khalid Alkaraki: Magam Alyasamin, Almussasah Alarabia Berut, 2005.
2- Khalid Alkaraki : Raj3 Alsaheel, Almnssasah Alarabia, Berut,2007.
3- Khalid Alkaraki : Abdullah,Alan,Amman,2016.
4- ILbrahim Jochan: Altanass Fe Dewan Magam Alyasamin Majalat Altarbiyah. Mojalad2, 2011.
5- Arwa Mahammad Rabei :Alhis Algawmi Fe She3v Hayder Mahmoud,Wazarat AlthagaFah,2005.
6- Asma Alnasarat : Altanass Fe she3v Khalid Alkarak jami3at Alhussen bin Talal, 2017.
7- Khalid Jamal Laftah: Altanass fe she3r Ahmed Matar, Majalat Dirasat,Adad14.
8- Shirbil Dagher: Altanass Sabilan ila dirasat alnss, Majalat fusul,Adad2,2007.
9- Abbas Al3aghad : Abgareat Muhammad , Almaktabal Al3asreyah, Berut , 2010.
10- Ali lshari Zayed : lsted3aa Alshakseyat Altura theyah fe Alshe3r Alarabi Almuaser, Dar Alfikr.1977.
11- Muhammad Abdalmutalib: Qeraat lslobiyah fe Alshe3r Alhadeeth , Alhyah Almesryah,1955.
12- Muhammad AlGdah: She3r Abd Allah Albaraddoni, Almussah Alarabia, Berut,1977
13- Nabeel Ali Hussen: Altanass,Dar Kunoz,Amman,2010.
14- Yusra Khalaph Hussein: Altanass fe She3r Hameed Saeed,Almussah Alarabia,Bernt,2005.